المبحث الثاني

أنواع الترغيب

في دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم)

المطلب الأول: الترغيب في جنس الطاعات.

أولاً: الترغيب في الإسلام.

ثانياً: الترغيب في العمل الصالح.

ثالثاً: الترغيب في التقوى.

obeikandl.com

تمهيد:

الوعد بالخير والفلاح: نجده في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وذلك عند بيان سنن الله في المجتمعات فالمجتمع المؤمن تفتح عليه خيرات السماء والأرض ويمده الله بالنعم الكثيرة المتباينة.

فقد بين القرآن في مواضع كثيرة ومتكررة أن هناك ارتباطاً بين الإيمان وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء كقول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ (١) (أي وأوحى إليَّ أنه لو استقام الجن والأنس على ملة الإسلام لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغزير بالذكر لأنه أصل السعة والخيرات كلها في الدنيا) (٢) «فهي البركات بكل أنواعها وألوانها، وبكل صورها وأشكالها، ما يعهده الناس وما يتخيلونه، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال» (٣). ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٤): وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها»(٥).

هكذا نجد هذه النوعية من النصوص تربط بين هذه النعم الإلهية المنهمرة من السماء أو المخرجة من الأرض بإيمان الناس وإسلامهم، كل ذلك

---

(١) سورة الجن ، الآية ١٦.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة علي محفوظ ص ١٩٤ (دار المعرفة بيروت) مرجع سابق.

(٣) انظر في ظلال القرآن/ لسيد قطب ج ٦ ص ٣٧١٣ و ج ٣ ص ١٣٣٩ (مرجع سابق).

(٤) سورة نوح آية ١٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي ج ٧ ص ٤٨٢ (مرجع سابق).

ليحملهم على الإيمان ويرغبهم في الإسلام والعمل الصالح، وكما قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (١) ويشمل ذلك الفرائض والنوافل كما قال تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه» (٢) .

وأما المتقون فهم أهل السعادة والفلاح في العاجل والآجل كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (٣) .

وقد وقع اختياري على هذه لأن الترغيب في الإسلام لغير المسلمين.

والترغيب في العمل الصالح للمسلم.

والترغيب في التقوى للمؤمن، أو هكذا بدا لي.

أولاً: الترغيب في الإسلام:

تعريف الإسلام في اللغة: الخضوع والانقياد لله رب العالمين (٤) .

واصطلاحاً شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله مع الاعتقاد والإيمان والعمل بكتاب الله وسنة رسوله والخضوع لهما طواعية واختياراً(٥).

(١) سورة الفرقان : آية ٧٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب التواضع، وفي الفتح، ج ١١ ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٣) سورة يونس آية ٦٣ - ٦٤.

(٤) انظر التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني مادة أسلم . ص ٢٣ (ط: أولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.).

(٥) الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف/ د. توفيق الواعي، ص ٢٤ (ط: أولى ١٤٠٦ هـ، مكتبة الفلاح، الكويت).

والذي أريده هنا: ترغيب المدعو في الإسلام وبيان مزاياه، وفوائده العاجلة في دنياه ومكاسبه الآجلة في آخرته.

وقد رغبت الدعوة الإسلامية في اعتناق الإسلام بما يلي:

١ ــ سقوط العقوبة الدنيوية.

٢ ــ حرمة الدم بالإسلام.

٣ ــ سقوط الجزية عمن أسلم.

٤ ــ الأخوة الإسلامية.

٥ ــ سلامة الأملاك.

٦ ـ مغفرة الذنوب.

٧ ــ مضاعفة الأجر.

٨ ــ الملك والعزة والجنة.

٩ ــ العطاء

١ــ سقوطُ العقوبة الدنيوية عمن تاب ودخل في الإسلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ (١) نزلت في أبي سفيان وأصحابه، أي إن ينتهوا عن المحاربة، يغفر لهم ما قد سلف من حربهم، فلا يؤاخذون به (٢): والمراد بالذين كفروا الكفار مطلقاً، والآيةُ حثٌّ على الإيمان وترغيبٌ فيه (٣).

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٨.

(٢) زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ج ٣ ص ١٣٥٧ (ط: رابعة ١٤٠٧ هـ، المكتب الإسلامي، دمشق).

(٣) روح المعاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، ج ٥ ص ١٢٠٦ (ط: ب ١٤٠٨هـ بيروت).

obeikandl.com

وقد قال ﷺ: «الإسلام يهدم ما كان قبله» (١) (أي يسقطه ويمحو أثره) (٢)

٢ــ تحريم دماء أعداء الدعوة الإسلامية وأموالهم بإسلامهم كما قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى» (٣).

وكما جاء في كلام خالد بن الوليد (رضى الله عنه) للروم قبل موقعة اليرموك: «...وأمرنا رسول الله ﷺ أن نقاتل من زعم أن الله ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فإن قلتم ذلك فقد حرمت علينا دماؤكم وأموالكم إلا بحقها...» (٤).

٣ ــ إسقاط الجزية عمن أسلم:

يقول الإمام ابن القيِّم رحمه الله: «من أسلم سقطت عنه الجزية سواء أسلم في أثناء الحول أو بعده، ولو اجتمعت عليه جزية سنين ثم أسلم سقطت كلها: هذا قول فقهاء المدينة وفقهاء الرأي وفقهاء الحديث.. فالصحيح الذي لا ينبغي القول بغيره سقوطها - يعني الجزية - وعليه تدل سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه وذلك من محاسن الإسلام وترغيب الكفار فيه، وإذا كان رسول الله ﷺ يعطي الكفار على الإسلام حتى يسلموا يتألفهم بذلك، فكيف ينفر عن الدخول في الإسلام من أجل دينار!.

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسلام يهدم ما قبله.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ١٨٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة. وصحيح مسلم كتاب: الإيمان، وعند النووي ج ١ ص ٢.

(٤) كتاب الفتوح لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي ج ١ ص ١٩٦ (ت: ١٣٨٩ هـ مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند)، وانظر تاريخ فتوح الشام ص ٢٠٦ (مرجع سابق).

فأين هذا من ترك الأموال للدخول في الإسلام! وقد قال رسول الله ﷺ «ليس على مسلم جزية» (١): تأويل هذا الحديث: لو أن رجلاً أسلم في آخر السنة وقد وجبت الجزية عليه، فإن إسلامه يسقطها عنه فلا تؤخذ منه، وإن كانت قد لزمته قبل ذلك لأن المسلم لا يؤدي الجزية ولا تكون عليه دينا كما لا تؤخذ منه فيما يستأنف بعد الإسلام (٢): أفلا ترى أن هذه الأحاديث قد تتابعت عن أئمة الهدى بإسقاط الجزية عمن أسلم ولم ينظروا في أول السنة كان ذلك ولا في آخرها فهو عندنا على أن الإسلام أهدر ما كان قبله منها(٣) (والجزية وضعت في الأصل إذلالاً للكفار وصغاراً، فلا تجامع الإسلام بوجه، ولأنها عقوبة فتسقط بالإسلام، وإذا كان الإسلام يهدم ما قبله من الشرك والكفر والمعاصي، فكيف لا يهدم ذل الجزية وصغارها!.

وإن المقصود تألف الناس على الإسلام بأنواع الرغبة فكيف لا يتألفون بإسقاط الجزية؟ وكان رسول الله ﷺ يعطي على الإسلام عطاء لا يعطيه على غيره، وقد جعل الله سبحانه سهماً في الزكاة للمؤلفة قلوبهم، فكيف لا يسقط عنهم الجزية بإسلامهم!» (٤).

(١) أحكام أهل الذمة/ لابن القيم ج ١ ص ٥٨ (مرجع سابق).

(٢) أحكام أهل الذمة/ لابن القيم ج ١ ص ٥٨ (مرجع سابق)

(٣) نفس المرجع السابق ج ١ ص ٥٩.

(٤) أحكام أهل الذمة/ لابن القيم ج ١ ص ٥٩ (مرجع سابق)

obeikandl.com

٤ ــ الأخوة الإسلامية:

يصير الأعداء بالإسلام إخوة للمسلمين، وشركاءهم في حظهم، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (١).

وعن أنس (رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين» (٢).

وكما جاء في كتاب الفاروق إلى سعد بن أبي وقاص (رضى الله عنهما): «وقد كنت أمرتك أن تدعو من لقيت إلى الإسلام قبل القتال، فمن أجاب إلى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله سهم في الإسلام» (٣).

وجاء في كلام خالد بن الوليد (رضى الله عنه) لماهان عند لقائه معه: «وأمرنا رسول الله ﷺ أن نقاتل من زعم أن الله ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فإن

---

(١) سورة التوبة آية ١١.

(٢) صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ج ١ ص ٢٨٥.

(٣) مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ص ٤٢٢ (ط: سادسة ١٤٠٧ هـ دار النفائس بيروت)

قلتم ذلك فقد حُرِّمت علينا دماؤكم وأموالكم إلا بحقها، وأنتم إخواننا في ديننا وشركاؤنا في حظنا..» (١).

٥ ــ سلامة أملاكهم:

يبقى ملك الأعداء وأرضهم لهم بعد إسلامهم، ولا يقربها المسلمون إلا في تجارة أو حاجة فقد ثبت هذا بنص الآية قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (٢)، والحديث قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين» (٣).(وفيه صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه، ولو كان عند السيف) (٤).

وروى مسلم في صحيحه بسنده إلى بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين...» (٥).

---

(١) كتاب الفتوح لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي ج ١ ص ١٩٦، و (مرجع سابق) انظر تاريخ فتوح الشام لمحمد بن عبدالله الأزدي ص ٢٠٦، مؤسسة سجل العرب سنة الطبع ١٩٧٠م).

(٢) سورة التوبة: آية ١١.

(٣) صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي ج ١ ص ٢٨٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ٢٩٣.

(٥) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب تأمير الأمراء على البعوث.

وقد جاء في خطاب خالد (رضي الله عنه) إلى ملوك فارس حيث قال: «فادخلوا في أمرنا ندعْكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم» (١).

وموقف آخر يتضح من خلاله اهتمام المسلمين بترغيب الكفرة في الإسلام قبل القتال، فقد ذكر الإمام الطبري عن عبيد بن عمير قال: كان الرجال (٢) بحيال زيد بن الخطاب (رضى الله عنه)، فلما دنا صفاهما قال زيد: «يا رجال، الله، الله! فوالله لقد تركت الدين، وإن الذي أدعوك إليه لأشرف لك وأكثر لدنياك» (٣). ولاحظ هنا لا يعده بالسلامة فقط وإنما يعده بالزيادة

٦ ــ مغفرة الذنوب:

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا(٤) يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾(٥) (إن ينتهوا عن الكفر، يغفر لهم ما قد سلف من الإثم، قال يحيى ابن معاذ في هذه الآية: إن توحيداً لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر، لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب) (٦) (والمراد بالذين كفروا الكفار مطلقاً، والآية حث على الإيمان وترغيب فيه، والمعنى أن الكفار إن انتهوا عن الكفر

(١) تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج ٣ ص ٣٧ باختصار (ب. ت، دار سويدان بيروت)، وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٢٦٨ (دار الكتاب العربي ط: رابعة ١٤٠٣هـ.

(٢) الرجال بن عنفوه من بني حنيفة، قدم المدينة وأسلم وقرأ سورة البقرة فلما قدم اليمامة ارتد ولحق بمسيلمة الكذاب (انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٥٣٩).

(٣) انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٩١ (مرجع سابق)

(٤) أي عن كفرهم، وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له (انظر تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي ج ٣ ص ١٦٧) (مرجع سابق)

(٥) سورة الأنفال: الآية ٣٨.

(٦) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٣ ص ٣٥٧ (مرجع سابق).

وأسلموا غُفر لهم ما سلف منهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين) (١).

وقيل: إن هذه الآية نزلت في وحشي: عندما بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي بن حرب، قاتل حمزة (رضي الله عنه)، يدعوه إلى الإسلام.

فأرسل إليه: يا محمد! كيف تدعوني، وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق، أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا؟! وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله عزوجل ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيماً﴾ (٢).

فقال وحشي: هذا شرط شديد: إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً. فلعلي لا أقدر على هذا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (٣)

فقال وحشي: يا محمد أرى هذا بعد مشيئة، فلا أدري هل يغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله عزوجل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (٤) قال وحشي: هذا نعم، فأسلم. فقال الناس: يا رسول الله! إن أصبنا ما أصاب وحشي؟ قال: «هي للمسلمين عامة» (٥).

---

(١) روح المعاني للألوسي ج ٥ ص ٢٠٦ (مرجع سابق).

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٠ .

(٣) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٤) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٥) فتح الباري ج ٨ ص ٥٤٩ (مرجع سابق)

وقال بعض أجلّة المدقـقين: إن قوله تعـالى: ﴿يا عبادي الذين أسـرفوا﴾ خطابٌ للكافـرين والعاصين وإن كـان المقصـود الأولى الكفار لمكان الـقرب وسبب النزول، فقد أخرج ابن جـرير وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال: إن أهل مكة قالوا: يزعم محـمد ﷺ أنه من عبدالأوثان ودعـا مع الله تعالى إلهاً آخر وقـتل النفس التي حرم الله لم يغفـر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عـبدنا الآلهـة وقـتلنا النفس ونـحن أهل شـرك فـأنزل الله تعـالى: (قل يا عـبـادي ...الآية.

وأخـرج ابن جـرير عن عطاء بن يسـار قـال: نزلت هذه الآيات الثـلاث ﴿قُلْ يَا عِـبَادِيَ...وأَنْتُم لا تَشْـعُرُون﴾ بالمدينة في وحـشي وأصحـابه وتخلل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللّه يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ بين المعطوفين تعليلا للجزء الأول قبل الوصول إلى الثانـي للدلالة على سعة رحمته تعالى وأن مـثله حقيق بأن يرجى وإن عظم الذنوب لاسيـماً وقد عقب بقـوله تعالى: إنه هو الآية الدال على انحصار الغفران والرحمة على الوجه الأبلغ (١).

ويؤيد هذا مـا أخرجـه الإمام مـسلم في صحـيحـه بسنده عن عمـروبن العاص أنه بكى طويلاً وهو في سياقة الموت، وحَّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتـاه أما بشَّرك رسـول الله ﷺ بكذا؟ أما بشـرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه، فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إني قد كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني، ولا أحَب إليَّ أن أكون قـد استمكنت منه فقتلته،

(١) روح المعاني، ج ١٢ ص ١٤ و ١٥ (مرجع سابق).

فلو متُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط.

قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يُغفر لي، قال: «أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له...» (١)

وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: قلنا يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر» (٢).

قال الإمام النووي: «أما معنى الحديث فالصحيح فيه ما قاله جماعة من المحققين: أن المراد بالإحسان هنا الدخول في الإسلام بالظاهر والباطن جميعاً، وأن يكون مسلماً حقيقياً، فهذا يغفر له ما سلف في الكفر بنص القرآن العزيز، والحديث الصحيح «الإسلام يهدم ما قبله» (٣) وبإجماع المسلمين، والمراد بالإساءة عدم الدخول في الإسلام بقلبه بل يكون منقاداً في الظاهر مظهرا للشهادتين غير معتقد للإسلام بقلبه، فهذا منافق باق على كفره

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية.

(٣) سبق تخريجه في ص ٦٠ هامش (٤).

بإجماع المسلمين، فيؤاخذ بما عمل في الجاهلية قبل إظهار صورة الإسلام، وبما عمل بعد إظهارها؛ لأنه مستمر على كفره، وهذا معروف في استعمال الشرع، يقولون: حسن إسلام فلان إذا دخل فيه حقيقة بإخلاص، وساء إسلامه أو لم يحسن إسلامه إذا لم يكن كذلك» (١).

وقد تضافرت الآيات مؤكدة ذلك ومنها قوله تعالى ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢) (أرادو - أي الجن - به ما سمعوه من الكتاب ووصفوه بالدعوة إلى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية إلى الحق والطريق المستقيم لتلازمهما، وفي الجمع بينهما ترغيب لهم في الإجابة أيُّ ترغيب، وجُوِّز أن يكون أرادوا به الرسول ﷺ ﴿وآمِنُوا بِهِ﴾: أي بداعي الله تعالى، أو بالله عزوجل ﴿يَغْفِرْ لَكُم مّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي بعض ذنوبكم، قيل: وهو ما كان خالص حقه عزوجل فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان، وتعقبه ابن المنير بأن الحربي إذا نهب الأموال وسفك الدماء ثم حسن إسلامه جبَّ إسلامه إثم ما تقدم بلا إشكال، وقال صاحب الإنصاف بأن مقام ترغيب الكافر في الإسلام بسط لا قبض وقد أمر الله تعالى موسى أن يقول لفرعون: ﴿قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ (٣).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية ج ٢ ص ١٧٩ (مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ).

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣١.

(٣) سورة طه: آية ٤٤.

وقد قال تعالى: ﴿إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ (١) وهي غير مبعضة و(ما) للعموم لا سيما وقد وقعت في الشرط) (٢).

يقول ابن كثير رحمه الله – تعليقاً على هذه الآية –: (هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه) (٣).

٧ ــ مضاعفة الأجر بالإسلام: (٤)

ذكر الإمام البخاري كتاب رسول اللهﷺ، إلى قيصر وقد رواه ابن عباس (رضى الله عنهما): «فإذا فيه – في الكتاب –: من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (٥)» (٦).

(١) سورة الأنفال: الاية ٣٨.

(٢) روح المعاني للألوسي ج ١٣ ص ٣٢ (مرجع سابق).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٥٤ (ط: ثالثة، ب، مكتبة المعارف بالرياض).

(٤) قال سعيد بن جبير: (لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة ﴿يا أيها الذين آمنو اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ سورة الحديد: ٢٨. اي ضعفين (من رحمته) وزادهم (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة (ويغفرلكم) ففضلهم بالنور والمغفرة) زاد المسير ج ٨ ص ١٧٨ (مرجع سابق)

(٥) الأريسيين: الأكارين، الفلاحين جمع الأريس انظر فتح الباري ج ١ ص ٣٩ (مرجع السابق) والمقصود: الفلاحون والأتباع، والمراد رعيته لأنها غالباً تتبع ملكها وراعيها انظر السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د. محمد أبو شهبة ج ٢ ص ٣٥٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، جزء من الحديث.

obeikandl.com

٨ ــ الملك والعزة والجنة:

كان الرسول ﷺ يعرض نفسه في المواسم قبيلة قبيلة ويعد من أسلم، فيقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة» (١)

وقد روى الإمام الحاكم عن جابر بن عبدالله الأنصاري (٢) (رضى الله عنهما) أن النبي ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ ومنازلهم في منى يقول: «من يؤويني؟ ومن ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة؟ ويمشي ﷺ بين رحالهم يدعوهم إلى الله عزوجل ويشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام (٣).

وروى ابن إسحاق أن وفداً من بني عبدالأشهل على رأسه أبو الحيسر أنس بن رافع، وفيهم إياس بن معاذ، قدموا مكة يلتمسون الحلف مع قريش ضد قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم«هل لكم خير مما جئتم له؟» (٤).

---

(١) مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢١، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢١٦ (ب: ت، دار الفكر بيروت)، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ١٥٨ و ١٥٩ (مراجع سابقة).

(٢) جابر بن عبدالله بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو عبدالله، وأبو عبدالرحمن، الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً، شهد بيعة الشجرة والخندق، وشاخ وذهب بصره وقارب التسعين، مات سنة ثمان وسبعين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٣ ص ١٩٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب التاريخ، ذكر البيعة على يد رسول الله ﷺ ج ٢ ص ٦٢٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي فقال عنه: صحيح (التلخيص ج ٢ ص ٦٢٥).

(٤) رواه بإسناد حسن: ابن هشام (٢/ ٨٠ - ٨١) ورواه غيره من طريقه. (مرجع سابق).

وعن ابن عمر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا قال له النبي ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك في خير؟».

قال: وما هو؟، قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله» (١).

وساق البيهقي بإسناده عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى ونحن اثنا عشر رجلاً على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا.... فإن وفيتم بذلك فلكم الجنة) وفي رواية: «فمن وفى منكم فأجره على الله» (٢) وفي رواية (وإن غشيتم شيئاً فأمركم إلى الله إن شاء غفر وإن شاء عذب) (٣).

وفي رواية جابر بن عبدالله «أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في المواسم: مجنّة، وعكاظ، ومنازلهم بمنى من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة؟

... فقمنا إليه نبايعه رجلاً رجلاً، يأخذ علينا شرطه، ويعطينا علي ذلك الجنة». (٤).

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٦٢، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلي أيضا والبزار. وكشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ج ٣ ص ١٣٣ و ١٣٤، ح ٢٤١١.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ٢١٩ - ٢٢٣. الحديث ٣٨٩٢ (مرجع سابق).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ الحديث ٣٨٩٣ والفتح ج ٧ (٢١٩- ٢٢٠) ، وأخرجه مسلم في كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها الحديث ٤٤ ج ٣ ص ١٣٣٣ - ١٣٣٤، والبيهقي في دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٣٦.

(٤) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٦٢٤ - ٦٢٥، وقال الحاكم: صحيح الإسناد جامع لبيعة العقبة ولم يخرجاه.

وهذا عبدالله بن سلام (رضى الله عنه) يقول حاكياً قصة إسلامه؛ ومن أسبابها أنه سمع الرسول ﷺ أول شيء تكلم به أن قال: «يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» (١).

٩ ــ العطاء:

لقد كانت حكمة النبي ﷺ في الترغيب في الإسلام بكل الوسائل المتاحة والمناسبة – خاصة أن الإسلام كان في بدء ظهوره – فاقتضى ذلك أن يرغب ﷺ بالمال لأن النفوس تميل إلى من يحسن إليها ويغدق عليها خاصة ضعاف الإيمان. وكان عطاؤه لا حد له فلقد جاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر(٢) «وما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها» (٣).

أرأيت إلى الإحسان والعطاء كيف يجعل البغض والكراهة محبة وإخاء.

فقد كان ﷺ يرغب الناس في دين الله ويحببه إليهم بالعطاء والإحسان

(١) صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند للألباني، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام ج ٢ ص ٢٢٢، ط: ثالثة ١٤٠٨ هـ مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض.

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٠٦ كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطاءه.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب باب (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، ومسلم كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

الذي ترتاح له النفوس وتقبل نحو صاحبه بالحب والقرب.

إن العطاء له قوة تأثيرية في دعوة غير المسلم إلى الإسلام وفي تثبيت ضعيف الإيمان وهذا يتضح في غزوة حنين – والتي كانت في السنة الثامنة من الهجرة – فبعض من خرج مع المسلمين من أهل مكة على كفره وبعضهم كان ضعيف الإيمان ممن أسلم ولا يزال متأثراً بما كان يقصد بالقتال في الجاهلية من الحصول على الأموال والغنائم حتى أن بعضهم ارتد حين هزم المسلمين في أول هذه الغزوة، فقد صرخ كلدة بن الحنبل أخو صفوان بن أميه لأمه: «الآن بطل السحر» (١) وقال قائل منهم: «الآن ترجع العرب إلى دين آبائها» (٢) وقال أبو سفيان بن حرب: «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر» (٣) فلما انتصر المسلمون بعد هزيمتهم وغنموا في هذه الغزوة من الغنائم التي لا تحصى ولا تعد اشرأبت أعناق قريش إليها وامتدت أعينهم نحوها، فأراد النبي ﷺ أن يؤثرهم بشيء من هذه الغنائم ليتألف من أسلم منهم ويرغب في الإسلام من بقي منهم على شركه فبسط يده في العطاء وأعطاهم كثيراً مما امتدت إليه أعينهم وقد أعطى صفوان بن أميه شعباً مملوءاً نعما وشاء فقال صفوان: ما طابت بمثل هذا نفس أحد وكان لا يزال مشركاً فأسلم (٤).

ولعل سخاء النبي ﷺ وإعطاءه الأموال الكثيرة لأشراف قريش من

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٦ ص ١٨٠ وقال رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح وانظر البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٧.

(٢) انظر البداية والنهاية للحافظ بن كثير ج ٤ ص ٣٢٧، [ط: مكتبة المعارف، بيروت، ط: ثانية ١٣٩٤].

(٣) سيرة ابن إسحاق ج ٤ ص ١٢٢، ومغازي الواقدي ج ٣ ص ٩١٠ (مرجعان سابقان).

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج١ ص١٦٢ (مرجع سابق).

المرغبات التي ترغب الضعفاء فضلاً عن الأقوياء في الإسلام وتعاليمه كما ترغب غير المسلمين في إمعان النظر والفكر في الإسلام وفضله لأنه يجمع بين سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

وقد عادت هذه السياسة الحكيمة بالخير على الإسلام والمسلمين بتمكين الإسلام وتثبيته في القلوب وتأليف قلوب الزعماء والأشراف حتى صاروا من أجلاء المسلمين وأعظمهم نفاعاً مثل صفوان بن أميه الذي أسلم بعد أن زاد له النبي ﷺ في العطاء، ومعاويه ابن أبي سفيان.. وغيرهم فقويت بهذه الأموال والعطايا شوكة المسلمين ومكّن الله لدينه في الأرض وأعز الإسلام وأهله بسهم المؤلفة قلوبهم كما رأينا فيما مضى (*).

(*) لقد شاع عند بعض أهل العلم أن الصحابة أجمعوا على نسخ حكم المؤلفة قلوبهم، فلم يجز لهم ولا لأحد بعدهم أن يتألف علي الإسلام، وهذا غير صحيح إذ إن الأصل إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة، ولا فرق بين إعطائهم ليسلموا، أو لتثبيتهم على الإسلام، أو لإعانتهم للمسلمين في حربهم، أو قتال من منع الزكاة، وهذا هو القول المعتمد في مذهب الحنابلة، قال المرداوي: (الصحيح من المذهب أن حكم المؤلفة باق، وعليه الأصحاب، وهو من مفردات المذهب) الإنصاف في معرفة الراجع من الخلاف للمرداوي ج ٣ ص ٢٢٨، وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فإنه قال: (يجوز - بل يجب - الإعطاء لتأليف من يحتاج إلى تأليف قلبه،.. كما أباح الله في القرآن العطاء للمؤلفة قلوبهم من الصدقات، وكما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم من الفيء ونحوه) مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٢٨٨، وقال: (والمؤلفة قلوبهم نوعان: كافر ومسلم، فالكافر: إما أن يرجى بعطيته منفعة كإسلامه أو دفع مضرته، إذا لم يندفع إلا بذلك، والمسلم المطاع يرجى بعطيته المنفعة أيضاً..) مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٢٩٠، وذهب هذا المذهب أبو عبيد القاسم بن سلام، وعزاه إلى الحسن البصري وابن شهاب الزهري، قال أبو عبيد (وأما ما قال الحسن وابن شهاب فعلى أن الأمر ماض أبداً. وهذا هو القول عندي، لأن الآية محكمة لا نعلم لها ناسخاً من كتاب ولا سنة) الأموال لأبي عبيد ص ٧٩٧، وقال القرطبي: قال يونس: سألت الزهري عن المؤلفة قلوبهم، فقال: لا أعلم نسخاً في ذلك. وقال أبو جعفر النحاس: فعلى هذا الحكم فيهم ثابت، فإن كان أحد يحتاج إلى تأليفه ويخاف أن يلحق المسلمين منه آفة، أو يرجى أن يحسن إسلامه بعد دفع إليه. أحكام القرآن ج ٢ ص ٩٥٤.

أما القول المعتمد في مذهب الحنيفة فالمنع مطلقاً، قال الكاساني: (قال عامة العلماء: إنه انتسخ سهمهم=

= وذهب، ولم يعطوا شيئاً بعد النبي ﷺ) بدائع الصنائع للكاساني ج ٢ ص ٤٥، ومذهب الشافعي الذي نص عليه في كتاب (الأم) كمذهب أبي حنيفة في عدم جواز إعطاء أحد في التأليف على الإسلام، لا فرق في ذلك بين مسلم وكافر. انظر كتاب الأم ج ٢ ص ٦١، وقيل انقطع حكم المؤلفة قلوبهم بزوال العلة التي كانوا يعطون من أجلها، (وهي إعزاز الدين، فهو من قبيل انتهاء الحكم لانتهاء علته الغائبة التي كان من أجلها الدفع، فإن الدفع كان لإعزاز الإسلام، وقد أعز الله الإسلام، وأغنى عنهم) حاشية ابن عابدين ج ٢ ص ٢٤٣ وانظر أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ١٢٤.

ودعوى أن الحكم منسوخ مردودة من وجوه: الأول: الإجماع لا يكون ناسخاً للنصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بحال، لأن النسخ كما يقول ابن عابدين لا يكون إلا في حياة الرسول ﷺ، والإجماع لا يكون إلا بعده) حاشية ابن عابدين ج ٢ ص ٣٤٢.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية منكراً على من قال بالنسخ (..ما شرعه النبي ﷺ معلقاً بسبب إنما يكون مشروعاً عند وجود السبب، كإعطاء المؤلفة قلوبهم، فإنه ثابت بالكتاب والسنة، وبعض الناس يظن أن هذا نسخ، لما روي عن عمر أنه ذكر أن الله أغنى عن التأليف (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) سورة الكهف آية ٢٩، وهذا الظن غلط، ولكن عمر استغنى في زمنه عن إعطاء المؤلفة قلوبهم، فترك ذلك لعدم الحاجة إليه لا لنسخه، كما لو فرض أنه عُدم في بعض الأوقات ابن السبيل والغارم ونحو ذلك) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٣٣ ص ٩٤.

الثاني: لم تتوافر في هذه المسألة الشروط التي يجب توافرها في النسخ، فالنسخ لا يكون إلا بين نصين متعارضين تعارضاً قاطعاً، بحيث لا يمكن التوفيق بين هذين النصين، ثم لا بد أن يعلم التاريخ، وذلك بمعرفة النص المتقدم والنص المتأخر، وهنا ليست المسألة في عدم وجود تعارض بين النصوص، بل المسألة أنه لا يوجد نص معارض أصلاً لحكم المؤلفة قلوبهم، وكل ما استند إليه القائلون بالنسخ فإنه لا ينهض للاستدلال على النسخ. انظر فقه الزكاة للقرضاوي ج ٢ ص ٦٠٤.

الثالث: الزعم بأن عمر بن الخطاب وصحابة رسول الله ﷺ لم يعطوا المؤلفة قلوبهم بسبب النسخ دعوى ليس عليها دليل، ولا يفقه هذا من كلام عمر ولا من كلام غيره من الصحابة. (وقد قرر علماء الأصول أن تعليق الحكم بوصف يؤذن بعلية ما كان منه الاشتقاق، وهنا علق صرف الصدقة بالمؤلفة قلوبهم، فدل على أن تأليف القلوب هو علة صرف الصدقات إليهم، فإذا وجدت هذه العلة – وهي تأليف القلوب أعطوا، وإن لم توجد لم يعطوا، فما صنعه عمر ليس نسخاً، فإن النسخ إبطال حكم شرعه الله، وإنما يملك الإبطال من يملك التشريع، وليس ذلك إلا لله عزوجل، وعن طريق الرسول الموحي إليه) تفسير آيات الأحكام للشيخ مناع القطان ص ٣٦٦.

ودعوى أن حكم المؤلفة قلوبهم انتهى بانتهاء علته التي أعطوا من أجلها وهي انتشار الإسلام وغلبته مردودة من وجوه أيضاً.

الأول: (أن تقييد التأليف بأن يكون عند ضعف الإسلام وأهله تقييد للنصوص المطلقة بلا حجة، ومخالفة =لحكم الشرع بلا مبرر) تفسير آيات الأحكام للشيخ مناع القطان ص ٣٦٦.=

الثاني: لا نسلم أن هذا الذي ذكروه هو علة إعطاء المولفة قلوبهم، فالرسول ﷺ إنما أعطى المؤلفة قلوبهم بعد فتح مكة وانتصار الإسلام، وهزيمة هوازن وثقيف، ولم يعطهم في حال ضعف الإسلام وقلة المسلمين، يقول ابن كثير: (وقال آخرون: بل يعطون، لأنه عليه السلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٤١٣.

(فينبغي للدعاة أن يفيدوا من هذا لنصرة الإسلام والترغيب فيه بكل ممكن، كأن يبذل لولده، وأهله، أو لرعيته، ما يرغبهم في الإسلام، من مال أو ثناء، أو نحو ذلك) (١).

مما سبق نرى أن الترغيب في رأس الطاعات (الدخول في الإسلام لغير المسلمين) يلجأ إليه الداعية مستخدماً المسالك السابقة.

ثانياً : الترغيب في العمل الصالح عموماً:

الصلاح: [ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسيئة] (٢)، قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾(٣)﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ (٤).

وأريد بالعمل الصالح: كل ما ينفع المسلم في دينه وفي نفسه وأهله وفي

الثالث: وهب أن العلة في إعطائهم هي إعزاز دين الله، فهل يزول الحكم بزوال علته؟ يقول ابن عابدين: (مجرد التعليل بكونه معللاً بعلة انتهت لا يصلح دليلاً على نفي الحكم المعلل، لأن الحكم لا يحتاج في بقائه إلى بقاء علته، لاستغنائه في البقاء عنها لما علم في الرق والاضطباع والرمل، فلا بد من دليل على أن هذا الحكم مما شرع مقيداً بقاؤه ببقائها) حاشية ابن عابدين ج ٢ ص ٣٤٢.

الرابع: وعلى فرض أن الذي ذكروه هو العلة، وقد زالت في عصر الصحابة والعصور التي تلت ذلك إلى الوقت الذي قال فيه الأئمة وأهل الفقه مقالتهم، فأين الضمان في أن يستمر ذلك إلى آخر الزمان؟ ها هم المسلمون اليوم أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، تداعت عليهم الأمم من كل حدب وصوب، ومزقتهم سيوف الأعداء ومؤامراتهم، وعدنا كما بدأنا، لا دولة للمسلمين تحمى أمة الإسلام وعقيدة الإسلام وديار الإسلام، وأصبحنا أمة مستضعفة مغلوبة على أمرها (ولذلك فإن كثيراً من الذين عللوا بهذه العلة نصوا على جواز الدفع إلى المؤلفة قلوبهم في حال الاضطرار أو في حال الحاجة إذا ما عاد أمر المسلمين إلى الضعف) انظر رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ص ١١١.

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢٨ ص ٣٦٩، جمع ابن قاسم (دار المعارف، الرباط المغرب، ب : ت، باشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٨٩ (دار المعرفة بيروت).

(٣) سورة التوبة: آية ١٠٢.

(٤) سورة الأعراف آية ٥٦.

مجتمعه وكل ما يقوي المسلمين ويحقق قوتهم من البناء العلمي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والخلقي على الأسس التي جاء بها الإسلام (١).

والعمل الصالح: هو العمل المرضي عند الله تعالى، وهو الجامع لشيئين:

الأول: أن يكون وفق الشرع الإسلامي.

الثاني: أن يكون المقصود به مرضاة الله وطاعته فإذا فقد العمل هذين الشيئين أو أحدهما لم يكن مرضياً عند الله وبالتالي لا أجر فيه ولا ثواب (٢)، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٣).

فالعمل الصالح: هو ما أمر الله به على وجه الوجوب والاستحباب، من العبادات والمعاملات.

وتتفاضل الأعمال الصالحة من حيث الأجر والثواب ومن حيث درجة طلب الشرع لها فالفرض أفضل من المندوب وما عظم نفعه للجماعة أفضل مما اقتصر نفعه على فاعله (٤).

مكانة العمل الصالح في الإسلام

للعمل الصالح في الإسلام مكانة عظيمة جداً، لأنه ثمرة الإيمان بالله وباليوم الآخر وبرسوله محمد ﷺ، وبه يظهر معنى الشهادتين بالعمل

---

(١) انظر الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل تأليف محمد بن سيدي الحبيب ص ٦٥ (ط: أولى ١٤٠٦هـ دار الوفاء جدة)

(٢) انظر أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٧ (ط: ثالثة، دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع بالإسكندرية).

(٣) سورة الكهف: آية ١١٠.

(٤) أصول الدعوة/ د. عبدالكريم زيدان ص ٤١ (مرجع سابق).

والسلوك، ولأهميته في الإسلام جاءت النصوص الكثيرة به، فمرة تقرنه بالإيمان، ومرة تبين جزاءه الحسن، وأخرى تصرح بأن ما ينفع الإنسان في آخرته هو الأعمال الصالحة وأن الله تعالى لا يضيع أجر من عملها وقام بها، وتارة تبين أن الصالحات سبب لتكفير السيئات وغفران الذنوب (١).

وقد رغبت الدعوة الإسلامية في «العمل الصالح» بمعناه السابق بما يلي:

١ ــ التمكين والاستخلاف في الأرض والأمن من الخوف:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

(والمقام هنا مقام تأكيد، فالآية ترغب في الإيمان والعمل الصالح وتعد من يستجيب لداعي الإيمان بهذا الوعد الكريم، فكان لزاماً أن يؤكد هذا الوعد لتتمكن الثقة به في النفوس، وتتجه إلى ما يحقق لها كل هذا الخير. ونلحظ في الآية مصادر للتأكيد تضمنها النظم واقتضاها المقام وكلها من ألوان البلاغة التي عبر بها لغرض التأكيد) (٣).

والوعد هنا مقيد بالثبات على العبادة والعمل الصالح، قال الألوسي: (تقييد الوعد بالثبات على التوحيد لأن ما في حيز الصلة من الإيمان وعمل

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٧.

(١) سور النور آية : ٥٥.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د. عبدالغني محمد سعد بركة (مكتبة وهبة، القاهرة، ط اولى ١٤٠٣ هـ).

الصالحات بصيغة الماضي لما دل على أصل الإتصاف به جيء بما ذكر حالا بصيغة المضارع الدال على الاستمرار التجددي) (١).

٢ ــ النجاة عند الشدائد:

كما في الحديث الطويل الذي رواه الشيخان وغيرهما: في قصة النفر الثلاثة الذين دخلوا غاراً للمبيت فيه، فانحدرت صخرة من الجبل سدته عليهم، فقالوا لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم... فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون (٢) فهؤلاء الثلاثة عملوا لله صالحاً وأخلصوا إليه في الطاعة، ولما وقعوا في الشدة توسلوا إلى الله بأرجى عمل عملوه رجاء أن يفرج كربهم وينجيهم من شدتهم وينقذهم من محنتهم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من المداومة على الأعمال الصالحة أيام اليسر والرخاء ليكون الله إلى جانبه أيام الشدة والبلاء كما قال الرسول ﷺ: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» (٣) فإذا انضم إلى ذلك التضرع والدعاء كانت الإجابة أقرب وسبل النجاة أسرع. قال الله تعالى:

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤)

---

(١) روح المعاني للألوسي ج ٩ ص ٢٠٤ (مرجع سابق).

(٢) انظر صحيح البخاري في أحاديث الأنبياء باب حديث الغار والفتح ج ٦ ص ٥١٠ و ٥١١ ومسلم في الذكر باب قصة أصحاب الغار الثلاثة.

(٣) مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٠٧ (المكتب الإسلامي) وقال العجلوني في كشف الخفاء ج ١ ص ٣٦٦: رواه أحمد والطبراني بسند صحيح .

(٤) سورة النمل آية ٦٢.

والترغيب هنا يتجلى في ثواب العمل الصالح الخالص لله، نجاة من المهالك وحفظاً في الشدائد وتيسيراً عند المصاعب والأزمات، حتى يخرج المرء منها سليماً معافي. فالغار في الجبل إنما يرمز إلى كل ضائقة تلم بالإنسان لا ينقذه غير عمله الصالح.

٣ ــ النعيم في البرزخ والقبر:

وذكر رسول الله ﷺ في حديث البراء بن عازب أن الملائكة تسأل العبد المؤمن في قبره فيحسن الإجابة وعند ذاك «ينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره قال: ويأتيه (وفي رواية ويمثل له) رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك (أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم) هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح (فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله فجزاك الله خيرا)، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار فيقال: هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة، قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي» (١).

(١) مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٢٨٧ – ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٨١، وقال الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٧ و ٤٠: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وصححه ابن القيم في اعلام الموقعين (١/ ٢١٤) وتهذيب السنن (٤/ ٣٣٧)، وجمع الألباني روايات هذا الحديث في (أحكام الجنائز ص ٥٩).

٤ ــ الوعد بالنجاة من الخسران:

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (١)

والخسران هنا: النقصان وذهاب رأس المال (٢) وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣) (وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين علي كل عمل صالح، وترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح (٤).

والمغفرة والأجر العظيم كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٥) وإبدال السيئات حسنات لمن عمل صالحاً بعد التوبة: قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٦).

وتحقق الفلاح كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (٧).

---

(١) سورة العصر: الآية ١ – ٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٣٢ ص ٨٧ (ط: ثالثة، ب: ت، دار إحياء التراث العربي بيروت).

(٣) سورة النحل آية ٩٧.

(٤) روح المعاني: للألوسي ج ٧ ص ٢٢٦ (مرجع سابق)، وانظر فتح القدير للشوكاني ج ٣ ص ١١٣ (ط: ١٤٠١ هـ دار الفكر).

(٥) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٦) سورة الفرقان: آية ٧٠.

(٧) سورة القصص: الآية ٦٧.

٥ ــ العمل الصالح نور لصاحبه يجتاز به الصراط

عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة (رضي الله عنهما) قالا: قال رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون أدم... وإبراهيم ... وموسى... وعيسى... ليشفعوا لهم في تعجيل الفصل.. فكل منهم يجيب بقوله: لست بصاحب ذلك.. فيأتون محمداً ﷺ: فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، قال: بأبي وأمي أي شيء كالبرق، قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرحال، تجري بهم أعمالهم...» (١).

يقول شارح الطحاوية: ... يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ أخرى، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفأ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض مزلة (٢) ويقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملاً علي قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخريد، وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون فإذا خلصوا، قالوا: الحمد لله

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) الدحض: الزلق، والمزلة مثله، غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ج ٤ ص ٤١.

الذي نجانا منك بعد أن أرانا‌ك، لقد أعطانا مالم يعط أحد (١).

فالعمل الصالح يكون نوراً لصاحبه يوم القيامة يكشف له الطريق الموصل الى جنات النعيم، ويجنبه العثرات والمزالق في طريق دحض مزلة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم: هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفئ (٤).

٦ ـ الوعد بدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (٦).

فبالعمل الصالح يستحق أهل الجنة الجنة كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا

(١) شرح الطحاوي ص ٤٧٠، وقال الألباني: صحيح وأخرجه الحاكم وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) سورة الحديد آية ١٢.

(٣) سورة التحريم آية ٨.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٦١.

(٥) سورة النساء آية ١٢٤.

(٦) سورة الروم آية ١٥.

من ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣) (وهذا ترغيب في العمل الصالح ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله، وقيل المعنى لا نكلف نفساً إلا ما يثمر لها السعة أي جنة عرضها السموات والأرض وهو خلاف الظاهر... وجوز أن يكون اسم الإشارة بدلا من الموصول وما بعده خبر المبتدأ، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف) (٤).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٥) قيل: يهديهم طريق الجنة بنور إيمانهم... وقيل إن المعنى يسددهم بسبب إيمانهم للإستقامة على سلوك السبيل المؤدي إلى الثواب والهداية.(٦).

وهكذا يمضي ﷺ في دعوته بالترغيب والتشويق، حاضا على تحصيل الأعمال الصالحة، وتكميل النفس بما يزينها.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥.

(٢) سورة النساء آية ٥٧.

(٣) سورة الأعراف آية ٤١.

(٤) روح المعاني ج ٤ ص ١٢٠ (مرجع سابق).

(٥) سورة يونس آية ٩.

(٦) روح المعاني للألوسي ج ٦ ص ٧٤ (مرجع سابق)

«وذلك لأن الله سبحانه قد جبل عباده على الميل الى الأفراح واللذات، والنفور من الغموم والمؤلمات، ووعد من عصى هواه وأطاع مولاه بما أعده في الجنان من المثوبة والرضوان ترغيباً في الطاعات ليتحملوا مكارهها ومشاقها... ومدح الطائعين ترغيباً في الدخول في حمده ومدحته، وذم العاصين تنفيراً من الدخول في لومه ومذمته» (١).

فأفلح ﷺ في دعوته أيما فلاح، فعلى الدعاة إلى الله أن يترسموا هذا الطريق وأن يأخذوا به وأن لا يغفلوه، فكم اهتدى مهتد بترغيبه فيما عند الله.

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام السلمي ج ١ ص ١٤ (ب: ت، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.)

obeikandl.com

ثالثاً: الترغيب في التقوى:

وورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة من هذا النوع الآيات والأحاديث الكثيرة، منها قوله ﷺ : «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».(١).

تعريف التقوى لغة: (وقاه الله وقياً ووقاية أي صانه ووقيت الشيء إذا صنته وسترته عن الأذى، ورجل تقي ويجمع أتقياء ومعناه موقي نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح) (٢) وهي من الحماية والصيانة والحذر والحفظ.

وفي الشرع: (أن يعمل المسلم ما أمره الله به طلباً لرضاه، وأن يجتنب ما نهاه الله عنه فراراً من سخطه، فهو أن يتحرى كل الصالحات والطاعات ويبتعد عن ماعداها ابتغاء رضوان الله يقول ابن رجب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله) (٣).

فأصل التقوى: أن تجعل بينك وبين ما تخافه وتحذره شيئاً يقيك شره. وهذا الشيء هو تقوى الله المتمثلة في القيام بالواجبات وترك المنكرات.

---

(١) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، كتاب البر باب ماجاء في معاشرة الناس، ج ٦ ص ١٢٢، رقم الحديث ٣٠٥٣، وقال الألباني في صحيح الجامع ج ١ ص ٨١: حديث حسن.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ٤٩٠١، ٤٩٠٢، بتصرف.

(٣) جامع العلوم والحكم، زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب بن رجب الحنبلي البغدادي ص ١٤٩ (ب: ت، دار المعرفة بيروت).

وقد رغبت الدعوة الإسلامية في «التقوى» بمعناها السابق بما يلي:

١ ــ البشرى بالكرامات والعون الدائم:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١) بشارة الكرامة والأكرمية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢) فمدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بها.

ومما وعد الله به المتقين معيته – عزوجل – لهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ (٣) واليسر والسهولة في الأمر ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (٤) (أي يتق الله فيما أمر به يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة وهذا قول الأكثرين) (٥).

والخروج من الغم والمحنة ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (٦) (المعنى: ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجاً من غموم الدنيا والآخرة) (٧).

(وقيل مخرجاً من الشدة إلى الرخاء، وقيل من النار إلى الجنة، قال ابن

---

(١) سورة يونس: آية ٦٣.

(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٣) سورة النحل: آية ١٢٨.

(٤) سورة الطلاق: آية ٤.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي ج ١٤ ص ٢٩٥ (مرجع سابق).

(٦) سورة الطلاق: آية ٢.

(٧) روح المعاني للألوسي ج ١٤ ص ١٣٥ (مرجع سابق)

عباس: ومن يتق الله ينجه من كل كرب في الدنيا والآخرة) (١) قال ابن الجوزي: (والصحيح أن هذا عام، فإن الله تعالى يجعل للمتقي مخرجا من كل ما يضيق عليه ومن لا يتقي يقع في كل شدة) (٢).

٢ ــ السعة في الرزق:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (٣) (أي من حيث لا يأمل) (٤) (وقيل من الثواب) (٥) قال الألوسي: (إن تنويع الوعد للمتقي وتكرير الحث عليه بعد الدلالة على أن التقوى ملاك الأمر عند الله تعالى ناط به سبحانه سعادة الدارين) (٦)

٣ ـ الفوز بالعلم والحكمة:

كما قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٧) (هدى ونور في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل علي قول ابن زيد وابن اسحاق) (٨) ويقول ابن كثير: (أي فصلاً بين الحق والباطل لأن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته،

(١) زاد المسير ج ٨ ص ٢٩١ (مرجع سابق)

(٢) نفس المرجع ج ١٤ ص ٢٩٢.

(٣) سورة الطلاق آية ٢ – ٣.

(٤) زاد المسير ج ٨ ص ٢٩٢ (مرجع سابق).

(٥) روح المعاني ج ١٤ ص ١٣٦ (مرجع سابق).

(٦) نفس المرجع السابق ج ١٤ ص ١٣٦.

(٧) سورة الأنفال: الآية ٢٩.

(٨) زاد المسير ج ٣ ص ٣٤٦، وروح المعاني ج ٥ ص ١٩٦ (مرجعان سابقان).

ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة) (١).

٤ ــ تكفير الذنوب بالمغفرة وتعظيم أجر المتقي:

قال الله تعالى: ﴿مَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (٢) أي يسترها في الدنيا ﴿ويغفرلكم﴾ بالتجاوز عنها في الأخرى (٣) ﴿ويعظم له أجرا﴾: بالمضاعفة (٤) (٥) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦) والنجاة من العذاب والعقوبة ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ (٧) والفوز بالمراد كما قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ (٨) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٩) الظفر بالبغية على أتم وجه كالفلاح وبه فسرها السدي أي ينجيهم الله تعالى من جهنم مثوى المتكبرين لتقواهم مما اتصف المتكبرون به متلبسين بفلاحهم وظفرهم بالبغية وهي الجنة (١٠).

وزوال الخوف والحزن من العقوبة ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١) أهـ (١٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ج ٢ ص ٣٠١ و ٣٠٢ (ط: ثانية، ب: ت، دار القلم بيروت).

(٢) سورة الطلاق: آية ٥.

(٣) روح المعاني للألوسي ج ٥ ص ١٩٦ (مرجع سابق)

(٤) نفس المرجع السابق ج ١٤ ص ١٣٨.

(٥) انظر صفحة (٨٠) هامش رقم (٤).

(٦) سورة الأنفال: آية ٦٩.

(٧) سورة مريم: آية ٧٢.

(٨) سورة الزمر: آية ٦١.

(٩) سورة النبأ: آية ٣١.

(١٠) روح المعاني ج ١٢ ص ٢٠ (مرجع سابق)

(١١) سورة الأعراف: آية ٣٥.

(١٢) بتصرف يسير من بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيرز آبادي ج ٢ ص ٣٠١ و ٣٠٣ وانظر رسالة المسترشدين، للحارث المحاسبي ص ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة ط: الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

٥ ــ الفوز بحب الله والفلاح والقبول:

الفوز بحب الله لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (١).

والفلاح في الدارين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢).

والفوز بقبول الأعمال ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣)

التقوى هي سبب القبول (٤).

٦ ــ سبب لدخول الجنة:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾(١) ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

وهكذا تجمع التقوى خير الدارين.. فالنفس عندما تسمع هذه المكاسب الحافزة تندفع بقوة لأنها مجبولة على حب الخير العاجل والآجل، فتستجيب لأسلوب الترغيب وتقبل نحوه يدفعها الشوق إلى الخير، والحرص عليه.

ومما سبق نرى أن هذا النوع من الترغيب وهو الترغيب في التقوى يمكن أن يلجأ إليه الداعية مستخدماً ما يلي:

١ــ البشرى بالكرامات والعون الدائم من الله.

٢ ــ السعة في الرزق.

---

(١) سورة التوبة : الآية ٤ – ٧.

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٠.

(٣) سورة المائدة: آية ٢٧.

(٤) روح المعاني ج ٣ ص ١١٢ (مرجع سابق).

(٥) سورة مريم آية ٦٣.

(٦) سورة آل عمران آية ١٣٣.

٣ ــ الفوز بالعلم والحكمة.

٤ــ تكفير الذنوب وتعظيم أجر المتقي.

٥ ــ الفوز بحب الله والفلاح والقبول.

٦ ــ سبب لدخول الجنة.

obeikandl.com

المطلب الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات

أولاً : الترغيب في الإخلاص.

ثانياً: الترغيب في الصلاة.

ثالثاً: الترغيب في العفو.

obeikandl.com

تمهيد:

يتميز أسلوب النبي ﷺ في دعوته لأنواع الطاعات بظاهرة المزج بين الطاعات ومعاني الترغيب وهي ظاهرة تغرس في نفوس المخاطبين الشعور بالفائدة العاجلة والآجلة فيدفعهم ذلك إلى الأمتثال والاستجابة لأوامر الله ونواهيه بداعية الطمع في ثوابه وجنته فيتربي في نفوسهم الوازع الديني الذي تعني الرسالات الإلهية بغرسه في النفوس، وليس كطريقة البشر في قوانينهم التي تسرد الأحكام سرداً جافاً، لا تحس معها بتأثير في النفس، ولا باهتزاز في القلب (١).

وشواهد ذلك وأمثلته كثيرة في الكتاب والسنة، فالوحي مدده فياض بأوفى ما عرف من ضروب الترغيب، وفنون الوعد والتبشير على وجوه مختلفة، وفنون متنوعة في أحكام العقائد والمعاملات والأخلاق على حد سواء. وأكتفي هنا بضرب أمثلة حول: العقائد والعبادات والأخلاق.

وهي: الإخلاص والصلاة والعفو...

والسبب في اختياري لهذه الأنواع أنها تمثل الأمور القلبية والفعلية والخلقية على حد سواء.

---

(١) انظر الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت ص ٤٨٦، وانظر الصيام في القرآن، محمد الدسوقي (مصر دار المعارف سلسلة أقراص ٩٨).

obeikandl.com

أولاً: الإخلاص:

هو الإمحاض وعدم الشوب بمغاير، وهو يشمل الإفراد. وسميت السورة التي فيها توحيد الله سورة الإخلاص، أي إفراد الله بالألوهية، والإخلاص أخص من التوحيد وهو أن تكون العبادة غير مشوبة بحظ دنيوي. (١).

فالإخلاص هو: تجريد قصد التقرب إلى الله عن جميع الشوائب.

والإخلاص في العبادة أن يكون الداعي إلى الإتيان بالمأمور وإلى ترك المنهي إرضاء الله تعالى، وهو معنى قولهم: لوجه الله، أي لقصد الإمتثال بحيث لا يكون الحظ الدنيوي هو الباعث على العبادة مثل أن يعبد الله ليمدحه الناس بحيث لو تعطل المدح لترك العبادة. ولذا قيل: الرياء الشرك الأصغر، أي إذا كان هو الباعث على العمل، ومثل ذلك أن يقاتل لأجل الغنيمة فلو أيس منها ترك القتال؛ فأما إن كان للنفس حظ عاجل وكان حاصلاً تبعاً للعبادة وليس هو المقصود فهو مغتفر وخاصة إذا كان ذلك لا تخلو عنه النفوس، أو كان مما يعين على العبادة (٢) (٣).

---

(١) التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ٣١٦ (مرجع سابق).

(٢) المرجع السابق ج ٢٣ ص ٣١٦.

(٣) والنية الصحيحة لا تبطلها الخطرة التي لا تملك، عن معاذ بن جبل قال لرسول الله ﷺ: «إنه ليس من بني سلمة إلا مقاتل، فمنهم من القتال طبيعته، ومنهم من يقاتل رياء ومنهم من يقاتل احتساباً، فأي هؤلاء الشهيد من أهل الجنة؟ فقال: يا معاذ بن جبل من قاتل على شيء من هذه الخصال أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا فقتل فهو شهيد من أهل الجنة» قال ابن رشد في شرحه: هذا الحديث فيه نص جلي على أن من كان أصل عمله لله وعلى ذلك عقد نيته لم تضره الخطرات التي تقع في القلب ولا تملك،=

فإن قصد العبادة ليتقرب إلى الله فيسأله ما فيه صلاحه في الدنيا أيضاً لا ضير فيه، لأن تلك العبادة جعلت وسيلة للدعاء ونحوه وكل ذلك تقرب إلى الله تعالى، وقد شرعت صلوات لكشف الضر وقضاء الحوائج مثل صلاة الاستخارة وصلاة الضر والحاجة، ومن المغتفر أيضاً أن يقصد العامل من عمله أن يدعو له المسلمون ويذكروه بخير. (١)

ورجاء الثواب واتقاء العقاب هو داخل في معنى الإخلاص لأنه راجع إلى التقرب لرضى الله تعالى، وفضيلة الإخلاص في العبادة هي قضية أخص من قضية صحة العبادة وإجزائها في ذاتها إذ قد تعرو العبادة عن فضيلة الإخلاص وهي مع ذلك صحيحة مجزئة، فللإخلاص أثر في تحصيل ثواب العمل وزيادته ولا علاقة له بصحة العمل. (٢).

وتارة يقرر أن الله يستجيب حين يخلص المرء في الدعاء وأنه – سبحانه – رحيم بعباده، كما جاء في سورة النمل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

= على ما قاله مالك خلاف ما ذهب إليه ربيعة، وذلك أنهما سئلا عن الرجل يحب أن يلقى في طريق المسجد ويكره أن يلقى في طريق السوق فأنكر ذلك ربيعة ولم يعجبه أن يحب أحد أن يرى في شي من أعمال الخير وقال مالك إذا كان أول ذلك وأصله لله فلا بأس به إن شاء الله قال الله تعالى: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ قال مالك: وإنما هذا شيء يكون في القلب لا يملك وذلك من وسوسة الشيطان ليمنعه من العمل فمن وجد ذلك فلا يكسله عن التمادي علي فعل الخير ولا يؤيسه من الأجر وليدفع الشيطان عن نفسه ما استطاع (أي إذا أراد تثبيطه عن العمل) ويجدد النية فإن هذا غير مؤاخذ به إن شاء الله. أهـ التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ٣١٨ و ١٩.

(١) التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ٣١٨ و ٣١٩ (مرجع سابق).

(٢) نفس المرجع السابق ج ٢٣ ص ٣٢٠.

وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

وقد رغبت الدعوة الإسلامية في «الإخلاص» بمعناه السابق بما يلي:

١ ــ اشتراط الإخلاص لقبول العبادة:

فلا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له وابتغي به وجهه، فإذا كان العمل صالحاً وصلحت النية، انتفع به صاحبه ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢).

عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه» (٣).

وإذا نوى المسلم طاعة لله، ثم حبسه عن فعلها عذر كتب الله تعالى له بمنه وكرمه ثوابها، ولو لم يفعلها ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٤) فالنية الصادقة ترفع صاحبها إلى درجات من قاموا بالأعمال وباشروا الأفعال ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» (٥) فالثواب يحصل بالنية الصادقة حتى ولو لم يصل المرء إلى مرحلة القيام بالعمل وأدائه حيث أنه تمنى من خالص قلبه أن لو تيسرت

---

(١) سورة النمل آية ٦٢.

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٣) سنن النسائي، الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر، وسنده حسن: ابن الأثير، جامع الأصول ج ٢ ص ٥٨٤.

(٤) سورة النساء آية ١٠٠.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة ج ١٣ ص ٨٢.

له السبل لخرج مجاهداً في سبيل الله، فكتب الله له الأجر ولم يحرمه من الثواب كما جاء في حديث جابر بن عبدالله (رضى الله عنهما) قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض» (١) وفي رواية «إلا شاركوكم في الأجر»(٢).

(والأعمال الصالحة لا تستلزم الثواب لأعيانها، وإنما تحصل بالنية الخالصة إجمالاً وتفصيلاً) (٣).

وتأمل ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٤) في مواقف ظنوا أنهم أحيط بهم .. ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ (٥) ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ (٦) ... إن النجاة في الإخلاص في الدين، ذلكم هو تلقين الآيات الكريمة.

وفي تقديم (له) في الآية الأولى نكتة بلاغية أي ليس لغيره، وبلاغة القرآن بل إعجازه أن يتفق والمعاني المراد غرسها في نفس المسلم فالدين لله والحياة لله والإخلاص كذلك لله، وصدق الله ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٧).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب: الإمارة باب: ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ج ١٣ ص ٨٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب: الإمارة باب: ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ج ١٣ ص ٨٥.

(٣) فتح الباري، لابن حجر ج ٦ ص ١٠، مرجع سابق.

(٤) سورة يونس آية ٢٢.

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٥.

(٦) سورة لقمان آية ٣٢.

(٧) سورة الأعراف آية ٢٩.

٢ ــ استجابة الدعاء:

كما في قصة الغلام المؤمن حيث استجاب الله لجميع أدعيته في كل موقف يدعو فيه، وكذلك الثلاثة الذين في الغار.

فانظر إلى الترغيب في الإخلاص في قصة الراهب والغلام والساحر(١) وابتلاء الغلام من قبل الملك عندما أمره بالرجوع عن دينه فأبى ذلك فأمر بالغلام أن يلقى من ذروة جبل إن لم يعد عن دينه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك ... فأمر الملك بإغراقه إن لم يرجع عن دينه فذهبوا به إلى البحر فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك...

فانظر كيف كان الله يستجيب الدعوات المخلصة وكيف كانت السنن الكونية تتبدل وتتغير بسبب الإخلاص لله تعالى.

وكما في الحديث الطويل الذي رواه الشيخان وغيرهما: قصة النفر الثلاثة الذين دخلوا غاراً للمبيت فيه، فانحدرت صخرة من الجبل سدته عليهم، فقالوا لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم... فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون (٢) والترغيب هنا يتجلى في ثواب النية الصافية والعمل الخالص، نجاة

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ج ١٨ ص ١٧٧.

(٢) انظر صحيح البخاري في أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار والفتح ج ٦ ص ٥١٠ و ٥١١ و مسلم في الذكر باب قصة أصحاب الغار الثلاثة.

من المهالك وحفظاً في الشدائد وتيسيراً عند المصاعب والأزمات، حتى يخرج المرء منها سليماً معافى.

فانظر إلى الإخلاص كيف يُعجل جزاءه الحسن في الدنيا.

٣ ــ الإخلاص سبب لنصر الأمة:

لقوله ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم» (١).

٤ ــ الإخلاص ينجي من عذاب الآخرة - بفضل الله -:

قال تعالى في حق طائفة من المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (٢).

٥ ــ الإخلاص سبب لحسن الخاتمة:

ومن ذلك حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أراد أن يتوب(٣) فبسبب إخلاصه لله تعالى في التوبة، قبض وهو مقبل بقلبه إلى الله تعالى.

و مما سبق نرى أن هذا النوع من الترغيب وهو الترغيب في الإخلاص

---

(١) رواه النسائي وغيره وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ج ١ ص ٦ ورقم الحديث (٥) كتاب الإخلاص تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (ط: ثانية ١٤٠٦ هـ المكتب الإسلامي دمشق).

(٢) سورة الإنسان الايات : ٨ - ١٢.

(٣) انظر القصة كاملة في صفحة ٣١، ٣٢ من هذا البحث.

يمكن أن يلجأ إليه الداعية مستخدماً العناصر الآتية:

١ ــ استجابة الدعاء.

٢ ــ اشتراط الإخلاص لقبول العبادة.

٣ ــ سبب من أسباب النصر.

٤ ــ الإخلاص ينجي من عذاب الآخرة - بفضل الله -.

٥ ــ الإخلاص سبب لحسن الخاتمة.

obeikandl.com

ثانياً: الصلاة:

الصلاة في اللغة: هي الدعاء، والتبريك والتمجيد (١).

وصلاة الله للمسلمين: تزكيته إياهم. والصلاة من الملائكة: هي الدعاء والاستغفار فأصلها الدعاء (٢).

اهتم الإسلام بإقامتها والمحافظة عليها وبين القرآن الكريم أن مشروعيتها كانت على الأمم السابقة كما قال تعالى على لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣)، وامتدح الله إسماعيل عليه السلام لإقامته لها وأمره لأهله بها قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٤).

وينطق المسيح عليه السلام في مهده قائلاً: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٥).

وكان من وصية لقمان لأبنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (٦).

فلما جاء الإسلام زاد من الاهتمام والعناية بالصلاة، وجعلها ركناً من أركان الإسلام لا يصح إسلام الشخص بدون إقامتها، وكانت عمود الدين

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٩١ (مرجع سابق).

(٢) نفس المرجع السابق ص ٤٩١.

(٣) سورة إبراهيم: آية ٣٧.

(٤) سورة مريم آية: ٥٥.

(٥) سورة مريم آية: ٣١.

(٦) سورة لقمان آية: ١٧.

وخير الأعمال عند الله تعالى. قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (١).

وقد رغبت الدعوة الإسلامية في الصلاة بما يلي:

١ ــ علامة الإيمان:

لما كانت الصلوات الخمس القدر الذي يستطيع أن يشترك فيه جميع المكلفين كانت منزلتها من الدين منزلة العمود من البناء، والسعي إليها وتعهد المساجد من أجلها يعتبر شرعاً علامة من علامات الإيمان الذي يشهد للعبد به إذ ورد في الحديث «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» فإن الله يقول: (٢) ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ (٣).

٢ ــ فيها عون على المصائب والمتاعب:

فالصلاة تمد المؤمن بقوة روحية تعينه علي مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤)

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٨.

(٢) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ج ٤ ص ١٢٥ ورقمه ٢٧٥٠ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) سورة التوبة آية ١٨.

(٤) سورة البقرة آية ١٥٣.

٣ ــ عون على فعل الخير وترك الشر:

ففي الصلاة قوة خلقية للمؤمن تقويه على فعل الخير وترك الشر ومجانبة الفحشاء والمنكر قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (١) فهي طاقة إيمانية تمد صاحبها بالحصانة ضد الفحشاء، ومقاومة الجزع عند الشر والمنع عند الخير قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ (٢)

٤ ــ سبب لإجابة الدعوة:

كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين قال: مجدني عبدي وقال مرة: فوض إلي عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم* غير المغضوب عليهم* ولا الضالين قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» (٣) فيكفي المصلي شرفاً وعلواً ونبلاً لما

---

(١) سور العنكبوت آية ٤٥.

(٢) سورة المعارج الآيات ١٩ - ٢٢.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، النووي ج ٤ ص ١٣٢.

يرجو من خيري الدنيا والآخرة أن الله جل وعلا قسم هذا الركن الأعظم من أركان الإسلام بينه جل وعلا وبين المصلي، فما أعظم شأنها من قسمة وقد وعده أن له ما سأل وهو جل وعلا لا يخلف وعده(١).

٥ ــ فيها طهارة من الذنوب وكفارة لها:

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شي؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» (٢).

والصلوات الخمس إلى جانب ذلك فهي مبادرة من العبد إلي ربه بالتوبة إذ يكفر الله بها الذنوب وفي الحديث عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر» (٣).

وعن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، مالم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله» (٤).

---

(١) انظر منهج التشريع الإسلامي وحكمته/ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ١٠ (ب: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

(٢) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة، صحيح مسلم كتاب.

(٣) صحيح مسلم باب الصلوات الخمس كفارة لما بينهن مختصر المنذري ص ٦٢.

(٤) صحيح مسلم ١/ ١١٧، وفي شرح النووي كتاب الطهارة باب: فضل الوضوء والصلاة عقبه ج ٣ ص ١٤١ وفي صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري اختيار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، كتاب: الصلاة ص ١٤٥، ط: ثانية ١٤٠٦ هـ، المكتب الإسلامي بيروت.

٦ ــ ثوابها كأجر الرباط في سبيل الله:

فعن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء في المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذالكم الرباط فذالكم الرباط فذالكم الرباط» (١).

٧ ــ سبب لرؤية وجه الله عز وجل:

فعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألاّ تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» (٢).

و مما سبق نرى أن الترغيب في الصلاة يمكن أن يستخدم فيه الداعية المسالك التالية:

١ ــ علامة الإيمان.

٢ ــ عون على المصائب والمتاعب.

٣ ــ عون على فعل الخير وترك الشر.

٤ ــ سبب لإجابة الدعوة.

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، تحقيق الألباني ص ١٨١ وقال الألباني: حديث صحيح، ط: ثانية ١٤٠٦ هـ المكتب الإسلامي، وفي الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليها، رقم الحديث ٥٥، ج ١ ص ١٦١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: من ترك صلاة العصر، وصحيح مسلم.

openkandil.com

٥ ــ فيها طهارة من الذنوب وكفارة لها.

٦ ــ ثوابها كأجر الرباط في سبيل الله.

٧ ــ سبب لرؤية الله عزوجل.

obeikandl.com

ثالثاً: العفو:

العفو: [هو التجافي عن الذنب] (١) قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٢) ﴿أَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (٣) وفي الدعاء: «أسألك العفو والعافية» (٤) أي: ترك العقوبة والسلامة (٥).

إننا نرى القرآن جمع الأمر بالكريم من الأخلاق، والنهي عن القبيح والسيء منها في هذه الآية من سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٦).

يروي الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية عن عثمان بن مظعون أنه لما نزلت هذه الآية قرأها على علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) فتعجب فقال: يا آل غالب اتبعوه تفلحوا، فوالله إن الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق. (٧).

وإذا كان هدف الإسلام بناء المجتمع على ضوء هديه وأحكامه، تحترم فيه كرامة الفرد، ويحافظ فيه على الاعتبار البشري لكل أفراده، فقد يقع المحظور، فتخدش كرامة الفرد، ويعتدي عليه، ويساء إلى اعتباره البشري.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٥٧٤ (مرجع سابق).

(٢) سورة الشورى: آية ٤٠.

(٣) سورة البقرة : آية ٢٣٧.

(٤) أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٧٨ (مرجع سابق).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٥٧٤ (مرجع سابق).

(٦) سورة النحل: آية ٩٠.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٦٥ (ط الثالثة، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧هـ).

obeikandl.com

فمن أجل أن يعود للمجتمع أمنه واستقراره أمر بأن يقتص من الجاني بالحق والعدل، وحث المعتدى عليه على الالتزام بضبط النفس، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء ووعده بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

وقد رغبت الدعوة الإسلامية في هذه الفضيلة بما يلي:

١ ــ الوعد بالمغفرة والرحمة:

«النفس البشرية يصعب عليها العفو عمن أساء إليها، وخدش كرامتها واعتدى عليها، لأنها محبة للانتقام حريصة على الأخذ بالثأر من خصمها، لذا أمر الإسلام بمجاهدة النفس والانتصارعليها بالترغيب وهو جهاد عنيف لا تقوى عليه إلا النفوس التي مرنت على قبول الحق، وطاردت وساوس الشيطان ومكايده، ومن أجل ذلك مدح القرآن العفو في مواضع كثيرة، وبين ما أعده الله تعالى للعافين من الثواب العظيم. قال تعالى: ﴿إِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

(ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللّه لَكُم﴾ [أي بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم] ﴿واللَّهُ غَفُورٌرَحِيم﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته سبحانه على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية

(١) سورة التغابن آية (١٤).

(٢) سورة النور آية (٢٢).

إليها، وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل: ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته) (١)

٢ ــ الحظ العظيم من ثواب الله:

دل على ذلك وصف الله للمؤمنين الصادقين بقوله: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ (٢)، فهم يدفعون بالعمل الصالح السيء من الأعمال، وبين – سبحانه – أن ذلك داعية إلى نزع العداوة من القلوب، وإحلال المودة مكانها، فقال – عزوجل –: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣).

«فإذا أساء إليك مسيء، فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك. غير أن هذه السجية، وهذه الخصلة الشريفة لا يلقاها إلا الذين صبروا على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الإنتقام، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات» (٤).

وهؤلاء سينالون الحظ العظيم من ثواب الله، ولا أعظم من الجنة ثواباً.

---

(١) روح المعاني للألوسي ج ٩ ص ١٢٥ (مرجع سابق).

(٢) سورة القصص آية ٥٤.

(٣) سورة فصلت الآيتان ٣٣ – ٣٤.

(٤) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ج ٣ ص ٤٥٤ (ت: ١٣٩٢هـ، مكتبة الحلبي، مصر) والقرطبي ج ١٥ ص ٣٦٣، والتفسير الكبير للرازي ج ٢٧ ص ١٢٧ (وهما مرجعان سابقان)

ولما كانت بعض النفوس تأبى إلا أن تنتصر لنفسها ممن اعتدى عليها، بين القرآن حد الانتصار في قوله تعالي: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ* وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (١).

فالله تعالى يمدح الذين إذا أصابهم ظلم وعدوان، وكانوا قادرين على الانتقام انتصروا ممن بغى عليهم بمقابلة الإساءة بمثلها من غير زيادة ولا اعتداء (٢). ثم عاد – سبحانه – إلى الترغيب في العفو فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٣)، فمن عفا عمن أساء إليه مع القدرة، وأصلح ما بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء تقريراً للود فثوابه على الله الذي لا يعلم قدره سواه (٤).

ثم أكد المساواة في العقاب بقوله تعالى: ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ لا يحب البادئين في الظلم المتجاوزين الحد في الاقتصاص من خصومهم(٥).وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء، خصوصاً في حال الحرب والتهاب الحمية، فربما كان المجازى من الظالمين وهو لا يشعر (٦). وأضاف إن الذي ينتصر لنفسه من غير تجاوز الحد لا لوم عليه ولا عتاب، فقال تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ

(١) سورة الشورى الآيتان : ٣٦ – ٣٧.
(٢) انظر تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤٠ (مرجع سابق)
(٣) سورة الشورى آية ٤٠.
(٤) انظر التفسير الواضح، محمد حجازي ج ٥ ص٢٤. والمنتخب في تفسير القرآن ص ٧٢٠.
(٥) انظر تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٤١ (مرجع سابق).
(٦) الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٤٧٣ (مرجع سابق).

يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) إن الذين يعاقبون المعتدين بمثل ما اعتدوا، فلا مؤاخذة عليهم ولا لوم، إنما اللوم والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس، ويتكبرون في الأرض، ويفسدون فيها بغير الحق، أولئك لهم عذاب شديد الإيلام (٢).

٣ ـ العفو أفضل عند الله من الاقتصاص:

ثم ختم سبحانه الآية بالترغيب في الأفضل، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (٤) الذي يصبر على الظلم ويكف نفسه عن الانتقام، ولا ينتصر لنفسه، عندما لا يكون العفو تمكيناً للفساد في الأرض، إن ذلك منه لمن عزم الأمور، التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل بها (٥).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(٦) (وفي جعل أجر العافي على الله، مما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يجب أن يعامله الله به) (٧)﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٨) ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾(٩)

(١) سورة الشورى الآيتان: ٤١ – ٤٢.
(٢) انظر المنتخب في تفسير القرآن ص ٧٢٠ (مرجع سابق).
(٣) سورة الشورى: آية ٤٠.
(٤) انظر التفسير الواضح ج ص ٥٢. والمنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٧٠ (مرجعان سابقان).
(٥) الشورى: آية ٤٠.
(٦) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ج٦ ص ٦٢٣.
(٧) البقرة: آية ٢٣٧.
(٨) النساء: آية ١٤٩.
(٩) المائدة : آية ١٣.

٤ ــ محبة الله للعافين: كما قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢)

٥ ــ فوز العافين بالجنة:

ثم يصل الترغيب في العفو أوجه، بوعد الله للعافين عن الناس بفوزهم بمقام رفيع في جنة عرضها السموات والأرض، حيث يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣). فيقول تعالى: بادروا بالأعمال الصالحة لتنالوا مغفرة عظيمة لذنوبكم من الله سبحانه وجنته واسعة عرضها كعرض السموات والأرض هيئت لمن يتقون الله ويخافون عذابه، الذين ينفقون أموالهم إرضاء لله في كل الأحوال، والذين يحبسون نفوسهم عن أن يؤدي غيظهم إلى إنزال عقوبة بمن أساء إليهم خاصة، ويتجاوزون عن المسيء، والعاملون بها هم المحسنون، الذين يحبهم الله ويرضى عنهم (٤).

وفي الآية الكريمة تحريض على الترقي في درجات الصفح والعفو والتسامح مع الناس فكظم الغيظ: هو كتم الغضب، والعفو: هو ترك

(١) آل عمران: آية ١٣٤.

(٢) قال الراغب: الكظوم: السكوت، وكظم الغيظ: حبسه والغيظ أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه. المفرادات في غريب القرآن ص ٣٦٨ وص ٧١٢، وقال صاحب المنار: الغيظ ألم يعرض للنفس إذا هضم حق من حقوقها المادية كالمال أو المعنوية كالشرف فيزعجها إلى التشفي والانتقام. تفسير المنار ج ٤ ص ١٣٤.

(٣) سورة آل عمران الآيتان ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) انظر المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٩٢ (مرجع سابق).

العقوبة، والإحسان: هو التفضل بالخير (١) فالعفو مرتبة فوق مرتبة كظم الغيظ، إذ ربما يكظم المرء غيظه على حنق وضغينة. والإحسان أعلى مرتبة منهما، فهو ما زاد على العفو، بأن أحسن إلى المسيء إليه، وهو خلق بناء يرسي دعائم الوحدة بين أفراد المجتمع، وهو عنوان القوة والانضباط، مصداقاً لقوله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب»(٢).

ولأن الإسلام يريد من أتباعه أن يكونوا في أرفع مقام، وأسمى منزلة تسمو بهم في مدارج الإنسانية الفاضلة، وترقى بهم في معارج الكمال الخلقي والروحي، ولا يتأتى ذلك إلا بالحلم والأناة، ومظهر ذلك كظم الغيظ والتريث وضبط النفس وعنوانه العفو والتسامح، فينالون بذلك العزة في الدنيا والآخرة.

ومما سبق نرى أن هذا النوع من الترغيب وهو الترغيب في العفو يمكن أن يستخدم فيه الداعية ما يلي:

١ ــ الوعد بالمغفرة والرحمة.

٢ ــ الحظ العظيم من ثواب الله.

٣ ــ العفو أفضل عند الله من القصاص.

٤ ــ محبة الله للعافين.

٥ ــ فوز العافين بالجنة.

---

(١) انظر موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ج ١ ص ٣٦ (ط: ثالثة، ١٤٠٧ هـ، دار الرائد العربي).

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ج ٤ ص ٦٨.

(*) لم يرى الباحث ضرورة لكتابة خاتمة لهذا الكتاب بالنظر إلى الترابط العضوى بينه وبين الكتب التي تليه في سلسلة حيث تؤلف في مجموعها رسالة علمية واحدة.

obeikandl.com

فهرس المصادر والمراجع

obeikandl.com

obeikandl.com

(أ) القرآن الكريم:

١ ــ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٢ ــ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

٣ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي (ط ٣/ ١٤٠٧هـ).

٤ ــ المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

٥ ــ البرهان في علوم القرآن للزركشي، ط: أولى، ب: ت، منشورات دار احياء الكتب العربية – مصر، القاهرة.

٦ ــ الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي ط: ثانية ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٧ ــ الأمثال في القرآن، د. الشريف منصور بن عون العبدلي، ط: أولى، ١٤٠٦هـ، عالم المعرفة.

٨ ــ الأمثال في القرآن، د. محمود بن الشريف، ط: رابعة ١٩٨٥م، دار مكتبة الهلال بيروت لبنان.

٩ ــ بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، بدون رقم للطبعة وتاريخها.

١٠ ــ تفسير التحرير والتنوير، تأليف سماحة الأستاذ العلامة الإمام الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

١١ ــ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تأليف محمد رشيد رضا، دار المعرفة (ط ٢ بدون تاريخ).

١٢ ــ تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ.

١٣ ــ تفسير البغوي (معالم التنزيل) الإمام أبي محمد الحسين ابن مسعود البغوي، (دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ).

١٤ ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، حققه وضبطه محمد زهري النجار، مكتبة الهدي الإسلامية، الخبر، مكتبة الخلفاء للكتاب الإسلامي، الرياض (س ١/ ١٤٠٨هـ).

١٥ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر العربي ١٤٠٨هـ.

obeikandl.com

١٦ ــ روح المعاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ط: ١٤٠٨هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ودمشق.
١٧ ــ زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ط: رابعة ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي، دمشق.
١٨ ــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة، بدون تاريخ.
١٩ ــ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق (ط٩/ ١٤٠٠هـ).
٢٠ ــ نظرات في القرآن محمد الغزالي، ط: رابعة ١٣٨٣ هـ دار الكتب الحديثة، مصر.

ب ــ الحديث الشريف:

٢١ ــ المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ.
٢٢ ــ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلا بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، المكتبة السلفية بالمدينة، ط: ثانية ١٣٨٤هـ.
٢٣ ــ غريب الحديث للإمام أبي إسحاق الحربي، ط: أولى ١٤٠٥هـ دار المدني للطباعة والنشر جدة.

openkandil.com

٢٤ ــ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ط: أولى ١٣٩٦ هـ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٢٥ ــ سنن الدارمي، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.

٢٦ ــ صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ضبطه ورقمه، وذكر تكرار مواضعه وشرح ألفاظة وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ووضع فهارسه الدكتور: مصطفى ديب البغا، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (ط ٤/ ١٤١٠هـ).

٢٧ ــ صحيح سنن الترمذي، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، الناشر مكتب التربية العربي، لدول الخليج العربي (ط ١/ ١٤٠٨هـ).

٢٨ ــ صحيح سنن أبي داود، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج (ط١/ ١٤٠٩هـ).

٢٩ ــ صحيح سنن ابن ماجة باختصار السند للألباني، ط: ثالثة: ١٤٠٨هـ، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

٣٠ ــ صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط: ثانية ١٤٠٦ هـ، المكتب الإسلامي، دمشق.

٣١ ــ صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام النووي، دار الفكر للطباعة، بدون تاريخ.

٣٢ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١١هـ.

٣٣ ــ فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، ط: ثانية ١٣٩١هـ، بيروت، لبنان.

٣٤ ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، طبعة دار صادر بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

ج ــ السيرة النبوية:

٣٥ ــ البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت بدون تاريخ.

٣٦ ــ السيرة النبوية لابن هشام أبي محمد عبدالملك بن هشام المعافري، دار الجيل، بيروت ١٩٧٥م.

الدعوة الإسلامية:

٣٧ ــ أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د. عبدالغني محمد سعد بركة، ط: أولى ١٤٠٣هـ، مكتبة وهبة القاهرة.

٣٨ ــ أصول الدعوة، تأليف الدكتور: عبدالكريم زيدان، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة (ط ٥/ ١٤١٢هـ).

٣٩ ــ الدعوة في ضوء السنة، الدكتور: عبدالله بن وكيل الشيخ.

٤٠ ــ الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، تأليف محمد بن سيدي بن الحبيب، دار الوفاء، جدة، (ط ١/ ١٤٠٦هـ).

obeikandl.com

٤١ ــ الدعوة الإسلامية، أصولها وسائلها، الدكتور أحمد غلوش، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت. (ط ٢/ ١٤٠٧هـ).
٤٢ ــ الدعوة إلى «الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف، تأليف الدكتور: توفيق يوسف الواعي. مكتبة الفلاح، الكويت، (ط١/ ١٤٠٦هـ).
٤٣ ــ الدعوة إلى الله في ضوء سورة الروم عبدالحميد زين الدين رضا خوجه، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير مطبوعة.
٤٤ ــ سيكلوجية الرأي والدعوة، د. رؤوف شلبي، دار العلم، الكويت، ط: ثانية، ١٤٠٢هـ.
٤٥ ــ من صفات الداعية الرفق واللين، د. فضل إلهي ظهير، ط: أولى ١٤١١هـ إدارة ترجمان الإسلام سي، باكستان.
٤٦ ــ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، دار المعرفة بيروت ب: ت.

المراجع العامة:

٤٧ ــ أحكام أهل الذمة، لابن القيم، تحقيق د. صبحي الصالح، ط: ثانية، ١٤٠١هـ، دار العلم للملايين، بيروت.
٤٨ ــ إعلام الموقعين، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزيه، مراجعة وتعليق طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل بيروت.

obeikandl.com

٤٩ ــ إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الدار البيضاء بدون تاريخ والناشر غير معروف.
٥٠ ــ أساس البلاغة، للإمام جار الله الزمخشري، ب:ت ، دار المعرفة بيروت لبنان.
٥١ ــ الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ طبعة دار السعادة مصر.
٥٢ ــ الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ط: سابعة ١٤٠٣هـ دار الشروق.
٥٣ ــ التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، ط: أولى ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٤ ــ الفتوح لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي، ت: ١٣٨٩هـ مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند.
٥٥ ــ القصص القرآني منطوقة ومفهومة، لعبد الكريم الخطيب، بدون تاريخ، الناشر دار المعارف، بيروت لبنان.
٥٦ ــ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت ط: رابعة دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٧ ــ المعجم الوسيط، إخراج د. ابراهيم أنيس وآخرون، دار الفكر، ب: ت.
٥٨ ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي.
٥٩ ــ تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ب: ت، دار سويدان بيروت.

obeikandl.com

٦٠ ــ تاريخ فتوح الشام، محمد بن عبدالله الأزدي، مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠م.

٦١ ــ جامع العلوم والحكم، زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب بن رجب الحنبلي البغدادي، ب: ت، دار المعرفة بيروت.

٦٢ ــ سير أعلام النبلاء الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: ثالثة، ١٤٠٥هـ.

٦٣ ــ شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، تخريج الألباني، ط: رابعة، ١٣٩١هـ.

٦٤ ــ ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب وأثرها في تربية لجيل المسلم، مصطفى عيد الصياصنة، ط: أولى ١٤١٢هـ دار المعراج، الرياض.

٦٥ ــ قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام، ب: ت، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٦٦ ــ رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي، تحقيق عبدالفتاح ابو غدة ط: ثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

٦٧ ــ لسان العرب لابن منظور، دار لسان العرب، بيروت.

٦٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ب: ط، ١٤٠٨هـ بيروت، دار الكتب العلمية.

obeikandl.com

٦٩ ــ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع ابن قاسم، دار المعارف، الرباط المغرب، ب: تاريخ، باشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.

٧٠ ــ مجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله، ط: سادسة ١٤٠٧هـ دار النفائس، بيروت.

٧١ ــ موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي، ط: ثالثة ١٤٠٧هـ، دار الرائد العربي.

obeikandl.com